الدكتور طه حسين في نشأة النثر العربى ، كما يبدو أنه حين وجده يقول : « إن القرآن ليس نثراً ، كما أنه ليس شعراً ، وإنما هو قرآن ، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم » ، حين وجده يقول ذلك ليخرج القرآن من ميدان النثر ليبحث عن النثر العربى — اعتبر هذا هرباً من وضع القرآن باعتباره دليلا على نشأة النثر الفنى فى الجاهلية ، بل شاهداً من شواهد ذلك النثر . وهذا فيما يبدو منطلق الفكرة التى دارت فى خاطره ، تلك الفكرة التى أمسك بها وتشبث ، وجمع لها البراهين والإضافات من أجل دعمها وتأكيدها ، وإن كان تصور عصر القرآن عصراً جاهليا فى الحقيقة إنما هو من تفكير الدكتور طه حسين نفسه[1] . لكن الأمر أبسط من أن يدفع بنا إلى هذه المنعرجات وينزلق إلى هذا التصرف ، فقد كانت نشأة النثر الفنى فى الجاهلية ، وكانت دعامتنا فى هذا منزلة الخطابة الجاهلية وموضعها فى قلب العصر الجاهلى نفسه[2] من غير حاجة إلى أن يطغى هذا العصر على القرآن ، ويجور على البعثة النبوية .

---

(١) وذلك حين يقول : « إنما كان القرآن جديداً فى أسلوبه ، جديداً فيما يدعو إليه ، جديداً فيما شرع للناس من دين وقانون ، ولكنه كان كتاباً عربياً ، لغته هي اللغة الأدبية التى كان يصطنعها الناس فى عصره أى فى العصر الجاهلى » . (فى الأدب الجاهلى — ص ٧١) .

(٢) راجع للمؤلف البحث الذى سبقت الإشارة إليه « رأى فى نشأة النثر العربى » .